

## الحلقة (٢٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلاً فجاءت برجل فربطوه بسارية من سواري المسجد" متفق عليه، الحديث في الصحيحين وقد تجاوز القنطرة فلسنا بحاجة إلى بيان درجته.

### من الألفاظ الواردة:

قول أبي هريرة رضي الله عنه: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلاً، فالمراد بالخيّل راكبوها، وإلا فليست هي مما يمكن أن تكون تُرسل وتفعل هذا الفعل، وإنما المراد بذلك من هم على ظهور الخيل، وهم السرية الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، فكان لهم ذلك الموقف الذي يأتي ذكره، فإذاً المراد بالخيّل راكبو الخيل، الذين هم الفرسان.

قول أبي هريرة رضي الله عنه برجل: جاء في الصحيحين وغيرهما بيان ما أُبهم في هذا الحديث من تعيين الرجل، فهذا الرجل هو ثُمّامة بن أثال على ما تقول بعض التراجم ثُمّامة بن أثال الحنفي من سادات بني حنيفة، كان عندما أمسكت به السرية كان مشركاً لا زال على دينه، فجاءت به إلى المسجد، فربط في سارية من سواري المسجد، وبقي هناك ثلاثة أيام، كان النبي صلى الله عليه وسلم يمر على ثُمّامة فيسأله ويدعوه إلى الإسلام: ماذا عندك يا ثُمّامة؟

فما كان يجيب بجواب تطمئن له النفس، لكن النبي صلى الله عليه وسلم ربما أدرك بفراسته أمراً لم يدركه غيره، وكان يُبين ثُمّامة بأنه رجل له مناعة في قومه (إن تقتل؛ تقتل رجل ذا دم) يعني ما يسكت عنه يطالب به، (وإن تعف تعفو عن كريم، وإن تُريد مالاً فديننا) أو كما قال، فكان هذا جوابه في الثلاثة أيام، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإطلاقه، فانطلق ثُمّامة، حتى إذا خرج خارج البنيان وصل إلى حديقة من حدائق أو مزارع الأنصار اغتسل ثم عاد مرة أخرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعلن شهادة أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله، ولربما كان الرجل معتقداً لذلك من قبل لكنه خشي أن يعلن ذلك وهو في القيد، فيُظن إنما أعلن ذلك تقيّة أو خوفاً به، فالرجل جاء بعد ذلك عن قناعة، فأعلن إسلامه وأسلم رضي الله عنه، وبيّن للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه كان في طريقه إلى مكة يريد بيت الله الحرام، فاعترضته السرية وقطعت عليه، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم أن يكمل مسيره، وكان له موقفاً يذكر في مثل هذه المواقف، وفي مثل هذه الأيام بالذات، فلعله أول من أعلن المقاطعة على أعداء الله في تلك الأزمان، فلما علمت قريش بإسلامه أعلن لهم ذلك وقال أو أقسم لهم بأنه لا يأتيهم من اليمامة حبة واحدة بعد ذلك أبداً، والرجل من سادات قومه، وله بلا شك قوله وكلمته في قومه، فكانت هذه مقاطعة، وأتم ذلك حتى جاءت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسأله أن يشفع لها ويتدخل عند ثُمّامة بأن يأذن بالميرة أن تأتي من ديار بني حنيفة أو من اليمامة،

فالنبي صلى الله عليه وسلم شفع إلى ثمامة فأجاز لهم ذلك بعدها، وإلا فكان مانعاً لهذا من قبل رضي الله عنه وأرضاه.

فهذه قصة ثمامة رضي الله عنه مع هذه السرية، ثم في هذا أيضاً، الله سبحانه وتعالى إذا أراد للإنسان خيراً هياً له أسبابه وإن كان كارهاً لذلك السبب، فالرجل بلا شك لا يريد الأسر، ولا يريد هذه الإهانة أن يُربط، رجل من سادات قومه له زعامة وله كلمة وله قول ثم يكون هذا موقفه! لكن أراد الله به خيراً، فأخذته السرية حتى إذا كانت المواقف في ثلاثة أيام وتلك المحادثة والملاطفة من النبي صلى الله عليه وسلم ربما كانت هي السبب في إسلام الرجل، فدخل في الإسلام مقتنعاً بذلك، فسبحان من غير حاله من شرك إلى إسلام، وغير حاله من شر إلى خير، وتغيرت النية حتى النية تغيرت، يعني كان في الأول يذهب يريد أن يذهب إلى الكعبة وإن كان معظماً لها ولكنه مشرك، وأما بعد ذلك فذهب معظماً لها وهو مسلم فبلا شك اختلفت النية، وتغير الميزان، هناك ميزان فيه الفراغ لا يحمل شيئاً من الأجر، بل الآثام المليئة، وتغير ذلك فصار ميزان الحسنات يرجح في تلك المسيرة، فهذه تعطينا أن الإنسان قد يكره أمراً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً، فالإنسان يسلم أمره لله سبحانه وتعالى في كل أمر من أموره.

نعود إلى الحديث وإلى ألفاظه: قال: "فربطوه بسارية من سوار المسجد" السارية: هي الاسطوانة، وهي ما نقول عنه العمود أو ما يحمل السقف، فهذا هو المراد بذلك أنه السارية، فربط بواحد من تلك الأعمدة في المسجد.

### نأتي إلى الأحكام:

معنا في هذا الحديث جواز ربط الأسير في المسجد وإن كان كافراً، فربطه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بأمر النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد، وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، وهذا دليل على جواز ذلك، ولذلك قال الخطابي رحمه الله تعالى: فيه جواز دخول المشرك المسجد إذا كان له فيه حاجة، مثل إذا كان له غريم في المسجد لا يخرج إليه، ومثل أن يُحاكم إلى قاضي وهو في المسجد، وقد كان الكفار يدخلون مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويبقون فيه للجلوس، طبعاً كان ذلك لحاجة، وقصة الوفود ومحبتها للنبي صلى الله عليه وسلم وإقامة بعضهم في المسجد كوفد الطائف وممن كانت في إقامتهم في المسجد، فإذا دل ذلك على دخول المشرك المسجد إذا كان لحاجة.

المسألة خلافية في دخول المشرك المسجد، غير المسجد الحرام، المسجد الحرام له أمر آخر، إنما المقصود به المساجد غير الحرم فبعض العلماء يمنع من ذلك، وبعض العلماء يجيز هذا، ولكن لعل القول الوسط في هذه المسألة أن الكافر -هذا في مساجد الحل، غير مساجد الحرم- أن الكافر إن كانت لدخوله حاجة، يعني يحتاج إليه في دخولها، فيصح دخوله إليها، وأما إذا لم يكن هناك حاجة فيبقى على النهي وأنه لا يدخل أو لا يحل لأي كافر دخول المسجد إلا لهذه الحاجة، أما إذا لم يكن له حاجة

فلا، هذا بالنسبة للمسجد الحرام، أو نقول مساجد الحرم عموماً سواء كان المسجد الحرام أو كانت مساجد الحرم بوجه عام.

من الحاجات التي يمكن أن يكون يُحتاج إليها، أو يحتاج الكافر فيها في المسجد، كأن يستأجر هذا الكافر لعمارة المسجد، فيصح ذلك كما قلنا في غير الحرم، أما في الحرم فالنهي صريح فيه، وإن كان البعض حمله على منعه من الحج والعمرة، لكن اللفظ عام فالله سبحانه وتعالى قال: **{ فَلَا يَقْرُبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا }** فإذا دل هذا على أنه لا يحل لكافر أن يُمكن، أو لا يحل أن يُمكن الكافر من دخول المسجد الحرام بناء على ما جاء في هذه الآية من قوله سبحانه وتعالى **{ فَلَا يَقْرُبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ }** والأمر في المسجد الحرام له بلا شك مكان غير هذا، ولهذا لا يُمكن غير المسلمين من دخول الحرم، سواء كان المسجد أو حدود الحرم التي وضعت فيها الأعلام، وهي محددة والله الحمد الآن ظاهرة بارزة تُرى بالعين، فما داخل هذه الأعلام مما يلي الكعبة فهذه مكة، فهذا بلا شك يمنع الكافر من دخولها، ولو دخل إليها أُخرج منها، ولعل المسألة الدخول فيها؛ فيها خلاف طويل بين العلماء فيما لو لبث فيها وفي إقامة الحدود التي عليه فيها لعل هذا له حديث آخر، يؤتى إليه إن شاء الله تعالى، سواء في هذا المستوى أو في غير هذا من مستوى إن شاء الله تعالى، هذا ما يمكن قوله في هذا الحديث الذي هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه في ربط الكافر في المسجد.

### نأتي بعد هذا إلى حديث آخر في المنهج في باب المساجد أيضاً وهو:

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين) مُتفق عليه**، وكما قلنا إذا كان الحديث متفق عليه فلسنا في حاجة إلى بيان درجته.

هنا قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"إذا دخل أحدكم"**: فهنا (إذا) شرطية وفعلها دخل.

**فلا يجلس**: جواب الشرط، ورُبط بالفاء.

وأراد بالركعتين أي كاملتين بقراءتهما وركوعهما وسجودهما وكل أفعال الصلاة، فهو من إطلاق الجزء وإرادة الكل وهذا جارٍ.

### أما الأحكام التي تستنبط من هذا الحديث:

**الحكم الأول:** نهى "الداخل" إلى المسجد من الجلوس حتى يصلي ركعتين **(إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين)** وهاتان الركعتان تسميان تحية المسجد هي من النوافل ذوات الأسباب، نقول من النوافل ذات الأسباب لأن يأتي معنا حكم يتعلق بهذا.

**هنا النهي عن الجلوس الأصل فيه:** أن النهي للتحريم، ومقتضى ذلك أي وجوب تحية المسجد، وقول النبي صلى الله عليه وسلم **"فلا يجلس حتى يصلي ركعتين"** أن ذلك واجب، هذا ظاهر النص عندنا هنا، لكن **حُمل ذلك على الندب**، وهذا قول جمهور العلماء أنه محمول على الندب، فإذا تحية المسجد

نافلة وليست واجب وكذلك الجلوس هنا لو جلس قبل أن يصلي، فهو كذلك نقول له أنه لا يحرم عليه ذلك، لماذا؟

لقوله صلى الله عليه وسلم للذي رآه يتخطى رقاب الناس قال: **"اجلس فقد أذيت"** فأمره بالجلوس ولم يأمره أن يصلي ركعتين، فدل أن الأمر في هذا الحديث يحمل على الندب والاستحباب، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن علمه أركان الإسلام، ذكر فيها الصلوات الخمس ولم يذكر غيرها، لم يذكر تحية المسجد ولا غيرها من النوافل، فدل ذلك على أنه ليس بواجب وأنه مندوب إليه، إلى صلاة ركعتين تحية المسجد.

يؤخذ من هذا كما قلنا: نهي الداخل عن الجلوس حتى يصلي ركعتين، وتسمان تحية المسجد، والأمر هنا وإن كان ظاهره تحريم الجلوس ووجوب صلاة الركعتين تحية المسجد، إلا أن النصوص الأخرى صرفت هذا عن ظاهره على أنه للاستحباب وليس للوجوب.

**الحكم الثاني:** كما أسلفت هذه النافلة هي من ذوات الأسباب، وتقدم معنا في حديث سابق بأن ذوات الأسباب تصلى وإن كانت في وقت النهي، فإذا لو دخل داخل إلى المسجد في وقت نهى، فنقول يصلي ركعتين استحباباً وليست داخلية في النهي لأنها من ذوات الأسباب، وذوات الأسباب كما ذكر العلماء أنه يؤذن في صلاتها في وقت النهي لأنها متعلقة بسبب وسببها يزول يفوت فتذهب، فلذلك جَوَزَ العلماء صلاة ذوات الأسباب -النوافل ذوات الأسباب- في وقت النهي، وجعلوا النهي فيما كان نفلاً مطلقاً، وأما ما كان له سبب فتجوز الصلاة أو تجوز صلاته وإن كان في وقت النهي كما ذكر العلماء وكما تقدم معنا من قبل، وهذا في غير المسجد الحرام.

إذا كان الأمر أو كان الداخل إلى المسجد الحرام، الداخل إلى المسجد الحرام له إحدى حالتين: إما أنه دخل ليطوف. أو أنه دخل ليصلي من غير طواف.

نقول إن دخل هذا من أجل أن يطوف فإذا تحية المسجد هي الطواف، وهو حتماً بعد الطواف سيصلي ركعتين عند المقام أو في أي مكان إذا لم يتسنَّ له عند المقام أو خلف المقام، وهذا ما يعرف بركعتي المقام أو بركعتي الطواف، فيصلي ركعتين، فإذا تحقق له ذلك، أنه لم يجلس حتى صلى، لأنه دخل فطاف ثم لم يجلس حتى صلى، فإذا هذه حالة.

أما إذا كان دخل ليصلي فإن كان دخل المسجد الحرام أو حتى غيره من المساجد إذا دخله وقد أقيمت الصلاة الفريضة فهنا لا يصلي تحية المسجد، فتحية المسجد إنما هي الصلاة، وقد أدرك الصلاة فصل، وتدخل النافلة في الفريضة، يعني تُغني الفريضة هنا عن النافلة وإن كانت لها سبب.

لعل البعض يرى مثل هذا، فما المراد من ذلك؟

نجد بعض الناس أحياناً عند الدخول في المسجد يصلي، يعني يكبر منفرداً يصلي نافلة وقد أقيمت الصلاة، بل ربما أحياناً قد كبر الإمام ودخل في الصلاة، فيأتي هذا ويكبر ويصلي نافلة، هل يقصد

بها تحية المسجد أو يقصد بها غيرها؟

فعل العموم "إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة" وتعتبر هذه صلاة واجبة فريضة وهي تغني عن تحية المسجد، وما حدث له جلوس إلا بعد صلاة، وهو إذا موافق لهذا الحديث.  
أما إن كان هناك وقت قبل إقامة الصلاة، والداخل إلى الحرم ليس له نية الطواف، فأراد أن ينتظر الإقامة ليؤدي الفريضة ليصلي، فهنا نقول يصلي ركعتي تحية المسجد يصليهما قبل جلوسه استحباباً.

### تأتي معنا مسألة أخرى وهي:

إذا دخل الداخل إلى المسجد، سواء كان المسجد الحرام أو غيره، ثم جلس قبل أن يصلي فهل تفوته هاتان الركعتان؟ هل يفوت وقتها بمجرد جلوسه؟ هذا سؤال هذا رأس المسألة.

ظاهر الحديث قد يفيد مثل هذا "إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين" فلو جلس كأنه فات، لكن أجمع أهل العلم على أنه إذا لم يطل الوقت وقت الجلوس فإنه لا يعتبر فات وقتها، فيقوم فيأتي فيصلي، أما إن طال الجلوس فحينئذٍ قد نقول هنا فات وقتها، ففي هذه الحالة لا يقوم فيصلي فيأتي بصلاة الركعتين اللتين هما تحية المسجد.

دليل ذلك ما أخرجه ابن حبان في صحيحه أن أبا ذر رضي الله عنه دخل المسجد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "ركعت ركعتين؟" قال لا قال: "قم فاركعهما" فإذا كان الوقت يسيراً قليلاً، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم أمره بهذا، فقام فأتى بركعتين.

فإذا نقول أن القول الراجح والله أعلم في هذه المسألة أن الداخل إذا دخل فجلس فإن كان طال مُكثه فحينئذٍ قد فات وقت هاتين الركعتين كما دل أو استنتج من النصوص، أما إن كان لم يطل الوقت، فيقوم فيأتي بركعتين كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا ذر رضي الله عنه، عندما دخل وجلس وهو لم يصل الركعتين رضي الله عنه، فأمره بأن يقوم فيركع ركعتين، هذه المسألة في وقت الركعتين هل يفوت ذلك أم لا؟

مما ينبغي أن يُلاحظ ويُدلّ عليه البعض كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي ذر ومع غيره، بعض الداخلين إلى المسجد يدخل فيجلس مباشرة ولعلنا لا نجد أو لا نرى أحياناً من يوجهه إلى صلاة هاتين الركعتين، قد يكون الإنسان جاهلاً، أو يكون عنده مفهوم خاطئ أو ما شابه ذلك، واجب من حوله وهو يعلم أن يُبين له، وبلا شك التبیین إنما هو بالحسنى، كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم مع من يدعوهم، كان يتلطف معهم، وكان يتقرب منهم، ويتحجب إليهم، لأن المدعو لا يمكن أن يقبل منك ما لم يحببك، فإذا أحبك تقبل ما تأتي به، لذلك نفعل كفعل النبي صلى الله عليه وسلم، والله سبحانه وتعالى رسم لنا المنهج في ذلك في التوجيه في الدعوة في الإصلاح، يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم "ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" فإذا كان هذا في غير المسلمين، فالمسلمين أولى أن نتلطف معهم، ونوجههم وأن

ندعو لهم، لعل البعض يريد الإصلاح فينفر أكثر بسبب أسلوبه، وبسبب معاملته. فيحذر الإنسان من الوقوع في مثل هذا، وليستقم أمره على المنهج الرباني والمنهج النبوي الذي رسمه لنا الشرع، وذلك قول الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم { وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأُنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } المؤمن يوجه ويدعو، وينبغي أن نلاحظ هذا في مساجدنا، عندما يدخل داخل إلى المسجد ولم تُقم الصلاة بعد، أي صلاة الفريضة، ثم جلس، أن يُنبّه إلى أن يصلي ركعتين ويوضح الأمر فيه، وأن هذه مستحبة، ويبين له عظم الأجر في ذلك، وأن هذا من تعظيم الله سبحانه وتعالى، لأن تعظيم المسجد هو من تعظيم شعائر الله، وتعظيم شعائر الله من تعظيم الله، لأن الذي أمرنا بتعظيم هذه الشعائر إنما هو الله سبحانه وتعالى، فامتثال أمره، تعظيم الله سبحانه وتعالى، تعظيم له جل وعلا، فينبغي أن نتنبه إلى مثل هذا.